ESENSIA Jurnal Ilmu-Ilmu Ushuluddin
ISSN (Print): 1411-3775, ISSN (Online): 2548-4729
http://ejournal.uin-suka.ac.id/ushuluddin/esensia/index Research Article

Mashrū' Taf'īl al-Khiṭāb al-Salafī Fī al-Majāl al-Balāghī: Min Naqd al-Adlajah Ilā al-Naqd al-Mu`adlaj

The rhetorical project of Muhammad al-Ṣāmil, which called Balāghat Ahl al-Sunnah comes in the field of purifying Islamic knowledge from extraneous impurities and deviations. We discuss the foundations of this project and its cognitive practices as a discourse that can be analyzed according to approaches to discourse analysis, especially Foucault and Fairclough approaches, to arrive at a critical evaluation of the issue and its consequences. In the end, we reached the following results: First, the project is merely a transfer of "subjectivity" from the subjectivity of the theologians (mutakallimīn) to the subjectivity of those who reject the theological thought ('ilm al-kalām); Secondly, the project is, in fact, a rhetorical practice through which authoritarian practices are carried out to exclude others and deconstruct their authority. Third, the support of the official educational institution for the project suggests ideological support as a policy by the state institution that funds it, and this means directing the knowledge path in a politically and ideologically biased direction. In sum, it is said that the project started with an ideology critique and ended with ideologized critique.

Keywords: Rhetoric of the Sunnis; Ideological influence; Muhammad al-Ṣāmil; Ideologization.

خلال هذه الورقات يحاول الباحثون مناقشة مشروع محمد الصامل البلاغي الذي سماه بلاغة أهل السنة، ومناقشة الممارسات المعرفية المؤيدة لهذا المشروع. هناك فبمقتضى ذلك زعموا أن البلاغة العربية قد انحرفت عن مسارها الصحيح بسبب انطلاقها من الفكر الكلامي ونشأتها في حضن المتكلمين. فيناقش الباحثون أسس هذا المشروع والممارسات المعرفية الملحقة به بطرح إشكالات عدة تتمثل في: ما مدى موضوعية هذا المشروع؟ وهل هذا المشروع يستحق أن يرجى منه تأسيس خطابي جديد لعلم البلاغة وما هو السبب وراء ذلك؟ وكيف تموضع هذا المشروع داخل سياق اجتماعي وما مآل ذلك؟ في ضوء إجابات هذه الإشكالات يتم تحليل المشروع نظرا إلى كونه أطروحة خطابة بإخضاعه لمقاربات تحليل الخطاب خاصة لدى فوكو وفاركلوف، للوصول إلى تقويم نقدي للقضية ومآلاتها. وفي النهاية توصل الباحثون إلى النتائج التالية: أولا، أن المشروع في الحقيقة مجرد انتقال الذاتية من ذاتية المتكلمين إلى ذاتية الرافضين للفكر الكلامي، ولا يخفى ما فيه من ذهاب الموضوعية ضحية له؛ ثانيا، أن المشروع في الحقيقة ممارسة خطابية يتم من خلالها ممارسات سلطوية لإقصاء الآخرين وانتزاع المرجعية عنهم، فهو يعيد نفس الصراع العقائدي القديم إلى نطاق البلاغة والنقد الأدبي، كما أنه يؤدي إلى طمس جهود السابقين وتناول البلاغة بالشكل اللاتاريخي والسبب هو إرجاع علم البلاغة إلى نفس النوع من المرجعية؛ ثالثا، أن دعم المؤسسة التعليمية الرسمية للمشروع يوحي بتأييد أيديولوجي كسياسة من قبل مؤسسة الدولة التي تموّلها، وهذا يعني توجيه المسار العلمي توجها متحيّزا سياسيا وأيديولوجيا. وباختصار يقال إن المشروع انطلق من نقد الأدلجة وانتهى إلى أدلجة النقد أو النقد المؤدلج.

الكلمات المفتاحية: بلاغة أهل السنة؛ تأثير عقائدي؛ محمد الصامل؛ أدلجة.

Author:
Ahmad Muhdhor[1]
Moh. Yunus Masrukhin[2]
M. Amin Abdullah[3]

Affiliation:
UIN Sayyid Ali Rahmatullah Tulungagung[1]
UIN Sunan Kalijaga Yogyakarta[23]

Corresponding author:
a_muhdhor@iain-tulungagung.ac.id

Dates:
Received 27 Jan 2022
Revised 14 Apr 2022
Accepted 19 Jun 2022
Published 20 Dec 2022

How to cite this article:
Ahmad Muhdhor, Mohammad Yunus Masrukhin, M. Amin Abdullah. "Mashrū Taf'īl al-Khiṭāb as-Salafī fī al-Majāl al-Balāgī: Min Naqdī al-Adlijah ilā al-Naqd al-Mu'dilaj". *ESENSIA: Jurnal Ilmu-Ilmu Ushuluddin* 3 (2), 193-205 https://doi.org/10.14421/esensia.v23i2.3659

Copyright:
© 2022. The Authors. This work is licenced under the Creative Commons Attribution-Non Commercial-ShareAlike 4.0 International.

Read Online:
Scan this QR code with your mobile device or smart phone to read online

ESENSIA Jurnal Ilmu-Ilmu Ushuluddin
ISSN (Print): 1411-3775, ISSN (Online): 2548-4729
http://ejournal.uin-suka.ac.id/ushuluddin/esensia/index Research Article

مقدمة

ضمن موجات النقد تجاه علم البلاغة أصدر محمد بن علي الصامل في الألفينات كتابه المسمى بـ*المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة*. بما أن النقد في هذا المجال غالبا يتعلق بصلب النظرية البلاغية، فقد تميز الصامل بتوجيه النقد تجاه جانب ما وراء التنظير. وقد كتب الصامل هذا المدخل كمقدمة لمشروعه البلاغي الذي سماه بلاغة أهل السنة وفق المفاهيم التي تبناها والمعايير التي قررها. وهو بوصفه أستاذا بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قدّم هذا المدخل للقسم الذي درّس فيه لغرض إعادة النظر في علم البلاغة الممارس تدريسه بوصفه آلية لتحليل النصوص الأدبية. ومن اللافت للنظر في هذا المشروع أن الصامل اتخذ وقرّر مفهوما خاصا لمصطلح أهل السنة الذي يمثل أساسا يعتمد عليه في تقويم أعمال البلاغيين وتصنيفها بين القبول والرد أو التسليم والنقد. كما أن هذا المشروع لقي قبولا من القسم الذي ينتمي إليه الصامل في تدريسه الجامعي فأدخل ضمن المنهج المقرر على قسم الماجستير فيه. وفي ضوء ذلك كتبت ونوقشت رسائل جامعية عديدة في المجال البلاغي وفق مشروع الصامل هذا.

كما أن هناك إنتاجا خارج النطاق الجامعي منسجما مع مسار هذا المشروع من قبل مؤيديه. ومن أبرز هؤلاء عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر حيث أخرج عدة بحوث وفق المفاهيم المقررة في مشروع الصامل. من هذه البحوث: *البلاغة في ضوء منهج السلف في الاعتقاد*؛[1] و *المجاز من الإبداع إلى الابتداع*؛[2] و *إصلاح الإيضاح*.[3] وفي غضون ذلك طبعت عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رسالة الماجستير بعنوان *التوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغية في القرنين السابع والثامن الهجريين*[4] ليوسف بن عبد الله بن محمد العليوي.

ويمكن اعتبار هذا المشروع مواصلة لما تمخض لدى الباحثين المعاصرين من صلة التأليف البلاغي بالجذور العقائدية خاصة لدى المتكلمين. وفي هذا السياق نجد ما قاله نصر حامد أبو زيد من أن للأصول الكلامية تأثيرا بالغا لا يمكن تجاهله في المؤلفات البلاغية المتخصصة.[5] ومن جراء ذلك اتفق كلمة المؤرخين لنشأة البلاغة على أن البلاغة العربية هي وليدة الصراع حول قضية إعجاز القرآن. ولا ننسى أن غالب من خاض هذه المعركة هم المتكلمون. وبناء على ذلك قسّم الحسين زروق اتجاهات منظّري الإعجاز في مرحلة التأسيس تقسيما عقائديا إلى الاتجاه المعتزلي، والاتجاه السني الأشعري، والاتجاه السني غير الأشعري.[6]

كما أنه ليس من الغريب أن أفردت بحوث في رصد جهود مدرسة عقائدية معينة في المجال البلاغي. فنصر حامد مثلا قد تناول المجاز عند المعتزلة في بحثه الاتجاه العقلي في التفسير: دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة[7] وانتهى إلى عدة نتائج مهمة برهنت على وجود محاولات تأسيسية من قبل المعتزلة لعقلنة النصوص القرآنية من خلال نظرية المجاز التي أصّلوها. وبحث جمال كولوغلي تأثير المعتزلة في نشأة البلاغة العربية وتطورها[8] وتوصل إلى أن الممارسات المعرفية

---

[1] 'Abd al-Muhsin ibn 'Abd al-Azīz al-'Askar, *Al-Balāghah Fī Ḍaw` Madhhab al-Salaf Fī al-I'tiqād* (Riyadh: Maktabah Dār al-Minhāj, 1435).

[2] 'Abd al-Muhsin ibn 'Abd al-Azīz al-'Askar, "Al-Majāz Min al-Ibdā' Ilā al-Ibtidā'," *Majallat Al-Dirāsāt al-Islāmiyyah* 26, no. 3 (2014): 49–113.

[3] 'Abd al-Muhsin ibn 'Abd al-Azīz al-'Askar, "Iṣlāh Al-Īḍāh: Istidrākāt Wa Munāqashāt Li Masā`il Fī Kitāb al-Iḍah Li al-Khaṭīb al-Qazwīnī," *Majallah Jāmi'at al-Imām Muhammad Ibn Sa'ūd al-Islāmiyyah*, no. 49 (2005).

[4] Yūsuf b. 'Abdillah al-'Ulaywī, *Al-Tawjīh al-Balāghī Li Āyāt al-'Aqīdah Fi al-Mu`allafāt al-Balāghiyyah Fī al-Qarnayn al-Sābi' Wa al-Thāmin al-Hijriyyayn* (Riyadh: Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University, 2008).

[5] Naṣr Hamid Abū Zayd, *Ishkāliyāt al-Qirā`ah Wa Āliyāt al-Ta`wīl* (al-Dār al-Bayḍa`: al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, 2014), 132.

[6] Al-Husayn Zarrūq, *Juhūd Al-Ummah Fī al-I'jāz al-Bayānī Li al-Qur`ān al-Karīm: Al-Masār Wa al-Ma`āl Wa al-Maktabah* (Cairo: Dār al-Salām, 2013), 52.

[7] Naṣr Hamid Abū Zayd, *Al-Ittijāh al-'Aqlī Fī al-Tafsīr: Dirāsah Fī Qaḍiyyat al-Majāz Fī al-Qur`ān 'Inda al-Mu'tazilah* (al-Dār al-Bayḍa`: al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, 1996), 241–46; Ahmad Atabik, "The Discourse of Qur'anic Metaphors: The Embryo of Theological Sects Disputes in Comprehending the Holy Qur'an," *ESENSIA: Jurnal Ilmu-Ilmu Ushuluddin* 22, no. 1 (2021): 45–61.

[8] Djamel E. Kouloughli, "Ta`thīr Al-Mu'tazilah Fī Nash`at al-Balāghah al-'Arabiyyah Wa Taṭawwurihā," in *Dirāsāt Fī Tārīkh 'Ilm al-Kalām Wa al-Falsafah*, ed. Rushdī Rāshid (Beirut: Markaz Dirāsāt al-Wahdah al-'Arabiyyah, 2014), 159.

الخاصة بمدرسة الاعتزال هي التي تفسر لماذا يمكننا اعتبار أنه في حضن هذا التيار تمت البلورة الحقيقة لأسس البلاغة كمجال تقني. وقد برهن ذلك من خلال تناوله الدقيق للمصادر الاعتزالية المباشرة وغير المباشرة لنشأة الفكر البلاغي. هذا بجانب الرصد الوصفي الذي قام به وليد قصاب في *التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري*.[9] كما أصبحت تنظيرات عبد القاهر الجرجاني الأشعري في كتابيه *دلائل الإعجاز* و *أسرار البلاغة* عمدة للسكاكي في تقعيده للبلاغة في *مفتاح العلوم*. وأصبح تلخيص القزويني لعمل السكاكي عمدة لمن جاء بعده ومقررا في التدريس طوال العصور في كافة المؤسسات التعليمية في العالم العربي والإسلامي. فمما لا يمكن تجاهله أن للبلاغة العربية شقين. فمن حيث كونها بلاغة فهي أداة لتحليل النصوص الأدبية وتقييمها وتفسيرها، شأنها شأن البلاغة غير العربية في نطاق الأدب العالمي. ولكن البلاغة العربية تميزت كما تقدم بانتمائها وارتباطها الوثيق بالفكر العقائدي منذ نشأتها في الجانب التنظيري إلى أن تتطور في الجانب التطبيقي خاصة في مجال الشرعيات كالتفسير القرآني وشرح الحديث النبوي.

انطلاقا من هذا الحضور البارز من قبل المتكلمين في البحث البلاغي تأسيسا وتأصيلا وتأليفا لاحظ الصامل في إنتاجهم ما يخالف المفاهيم الفكرية (أو العقائدية) التي تبناها هو. وقصارى القول إن وجود "المخالفات العقائدية" وفق المفهوم الخاص لديه لمصطلح أهل السنة في التنظيرات البلاغية وتطبيقاتها هو الذي حفز الصامل إلى صياغة مشروعه البلاغي. فقد احتج الصامل لعمله هذا بأن علم البلاغة قد انحرف عن مساره الصحيح حيث كان هذا العلم معينا على فهم معاني النصوص القرآنية كاشفا عن أسرار نظمها، فتحول فيما بعد عند فئة من المشتغلين بالعلم إلى ذريعة تتيح لهم صرف معاني تلك النصوص لتلائم اتجاهاتهم العقائدية.

وبحثنا هذا ينتمي إلى ذاك النوع من الدراسات التي ترصد أطروحات التجديد والنقد في المجال البلاغي. وجلّ من حاول رصد هذه الأطروحات انصبت عنايتهم نحو الانتقادات التي تخص البنية الشكلية للنظرية البلاغية المتوارثة في صياغتها المقنّنة التي تشكلت على يد السكاكي والخطيب القزويني، ولم تلتفت عنايتهم نحو رصد الانتقادات الموجهة إلى البنية الموجهة للتنظير. فمحمد رفعت أحمد زنجير عندما قام برصد الانتقادات الموجهة إلى الخطاب البلاغي التقليدي ذكر بنودا من النقد يمكن إرجاع كلها إلى قصور الخطاب البلاغي العربي المستقر من حيث المضمون.[10] كما زاد هناء عبد الرضا رحيم على هذه الناحية اعتماد أصحاب أطروحات التجديد البلاغي على التجارب الأدبية والألسنية الغربية وغياب الجانب التطبيقي عند كثير منهم،[11] بينما خصّص بطاهر بن عيسى محاولته الرصدية لأطروحات التجديد بالسياق التربوي من دون اعتبارها كخطاب.[12] وما سوى ذلك دراسات تقدم قراءات تقويمية لمشاريع التجديد البلاغي الفردية، من مثل مشروع محمد مشبال الذي تناوله مها بن سعيد،[13] أو مشروع محمد العمري الذي تناوله عماد عبد اللطيف.[14]

فلم يكن مما رصده هؤلاء الباحثون أطروحة التجديد البلاغي التي صاغها صاحبها منطلقا من نقد الجانب العقائدي أو الأيديولوجي للخطاب البلاغي. ولعل ذلك لعدم وقوفهم على مشروع محمد الصامل. وهناك بحوث متناثرة تحتوي على نقد التراث البلاغي غير أن سياقها لم يخص المجال البلاغي لأن المغزى من النقد عند صاحبها هو نقد التراث بشكل عام من الناحية الأبستمولوجية، وفي بحوث محمد عابد

[9] Walīd Qaṣṣāb, *Al-Turāth al-Naqdī Wa al-Balāghī Li al-Mu'tazilah Hattā Nihāyat al-Qarn al-Sādis al-Hijrī* (Doha: Dār al-Thaqāfah, 1985).

[10] Muhammad Rif'at Ahmad Zanjīr, *Mabāhith Fī Al-Balāghah Wa I'jāz al-Qur`ān* (Dubai: Dubai International Holy Quran Award, 2008), 391–94.

[11] Hanā` 'Abd al-Riḍā Rahīm al-Rabī'ī, "Bawā'ith al-Tajdīd al-Balāghī Bayn al-Aṣālah Wa al-Mu'āsarah," *Majallah Ādāb Dhī Qār*, no. 20 (2016): 198–242.

[12] Bin'īsā Baṭāhir, "Taysīr Al-Balāghah Fī al-'Aṣr al-Hadīth: Murāja'ah Wa Taqwīm," *Al-Majallah al-'Arabiyyah Li al-'Ulum al-Insāniyyah* 36, no. 143 (2018): 163–91.

[13] Mahā Binsa'īd, "Al-Mashrū' al-Balāghī Li Muhammad Mishbāl: Balāghat al-Hijāj Nahwa Muqārabah Balāghiyyah Li Tahlīl al-Khiṭābāt," *Afkār*, no. 371 (2019): 71–74.

[14] 'Imād 'Abd al-Laṭīf, "Madkhal Ilā Mashrū' al-Balāghah al-'Āmmah: A'māl al-'Umarī Min Nawāfidh Jabrī," *Al-Balāghah Wa Tahlīl al-Khiṭāb*, no. 19 (2019): 103–18.

الجابري[15] ونصر حامد أبو زيد[16] ما يمكن أن يعتبر من هذا القبيل. وأما بحثنا فيخص المشروع البلاغي الذي قام بصياغته محمد بن علي الصامل وغيره من المنتمين إلى الفكر السلفي المعاصر منطلقين من النظر النقدي تجاه البنية العقائدية المتسترة من وراء الخطاب البلاغي التقليدي. فنقوم بتقويم هذا المشروع ومدى صلاحيته بديلا أو مصلحا لذاك الخطاب المستقرّ وفق ما ادعى به أصحابه. فتتجلى أهمية هذه الدراسة في اختبار هذا المشروع بوصفه أطروحة تجديدية نقدية في إطار معرفي موضوعي.

وبناء على ذلك يحاول الباحثون من خلال هذه الوريقات النظر في هذا المشروع البلاغي من حيث الأسس والمآل للوقوف على حقيقته وتقويم مآلاته. ومن ثم نصل إلى نتائج نتبين من خلالها هل هذا المشروع يستحق الاعتماد عليه كـ "المشروع العلمي" الذي له جدوى لإصلاح البلاغة العربية كما زعم به صاحبه أم هذا المشروع مجرد إحياء الصراع العقائدي وإشعال المعركة بين المدارس الكلامية وجذبها إلى المجال البلاغي من جديد. وذلك مبني على تحليل هذا المشروع بمقاربات تحليل الخطاب النقدي خاصة ما طرحه ميشال فوكو *Michel Foucault* ونورمان فاركلوف *Norman Fairclough* بناء على كون هذا المشروع خطابا صاغه وطرحه صاحبه في محاولة إثبات الذات داخل الصراع مع الطرف الآخر في سبيل الحصول على السلطة المرجعية قبل كل شيء، وله أسس نظرية مستوردة عن خطاب آخر يمكن التعرف على حضوره داخل هذا المشروع حيث يعتمد عليها صاحبه والمشتغلون به في ممارساتهم المعرفية، وله نتائج سارية في الأواسط العلمية والأكاديمية. كما يتم التركيز على علاقة هذا الخطاب بجانب الأدلجة داخل السياق الاجتماعي بناء على أن إفشاء الأيديولوجيا يمثل ممارسة سياسية.[17] ولا سيما إذا كانت هذه الأيديولوجيا تتمتع بالسلطة السياسية والمعرفية التي تتحكم بالتوجيه والتقييم تجاه الأعمال العلمية. فيناقش الباحثون أسس هذا المشروع والممارسات المعرفية الملحقة به بطرح أسئلة عدة تتمثل في: ما مدى موضوعية هذا المشروع بوصفه مشروعا معرفيا نقديا؟ وهل هذا المشروع يستحق أن يرجى منه تأسيس خطابي جديد لعلم البلاغة وما هو السبب وراء ذلك؟ وكيف تموضع هذا المشروع داخل سياق اجتماعي وما مآل ذلك؟ وتسهيلا للعرض، يقتصر الباحثون على تناول ثلاثة من إشكاليات الأسس التي يتم العثور عليها للوصول إلى إجابات لأسئلة البحث، وهي إشكالية تأسيس المصطلح، وإشكالية المرجعية، وإشكالية السلطة، وسيأتيكم تفصيلها. ولكي يتضح السياق، نودّ أن نستأنف البحث بالكلام عن موجات النقد تجاه البلاغة وكيف تموضع مشروع الصامل فيها.

موجات النقد تجاه البلاغة وسياق مشروع الصامل

سبق أن قلنا إن الباحثين الذين قاموا برصد اتجاهات التجديد البلاغي في العصر الراهن يعتنون كثيرا بالذين طرحوا أطروحات تجديدية داخل الصندوق، أي تمحور نقدهم تجاه البلاغة الكلاسيكية حول قدرتها على استيعاب ألوان المنتجات الأدبية وتفاصيلها داخل المجال الأدبي. وهذا طبيعي جدا إذ واقع الساحات الأدبية والأكاديمية يشهد بأن المنتقدين لا يتعدى نقدهم أسوار الشكل النظري للبلاغة، ولم يتطرقوا إلى البنية الفكرية التي توجه التأسيسات المفاهيمية للبلاغة. ومن جراء ذلك لم يكن هذا الاهتمام حاضرا في متناول الباحثين المعاصرين، إذ هذا النوع من الدراسة يتطلب من أي باحث أدوات بحثية متعددة لا توفرها معرفته السطحية لمجال خارج عن تخصصه الأكاديمي الرسمي.

كما يقتضي هذا النقد تجاه البنية الموجِّهة أن يتعامل الباحثون مع علم البلاغة بوصفه أطروحات خطابية تتطور داخل صراع عبر العصور حول السلطة من قبل أطراف متعددة تنتمي إلى منظومات فكرية مختلفة. وبالتالي صار التجديد - أو قل محاولات التجديد - لم يمس المشكلة من

[15] Mohammed Abed al-Jabri, *Binyat al-'Aql al-'Arabī* (Beirut: Markaz Dirāsāt al-Wahdah al-'Arabiyyah, 2013).

[16] Abū Zayd, *Ishkāliyāt Al-Qirā`ah Wa Āliyāt al-Ta`wīl*.

[17] Mohammed Abed al-Jabri, "Madkhal ' Ām: Tārīkh al-'Alāqah Bayn al-Dīn Wa al-Falsafah Fī al-Islām," in *Faṣl Al-Maqāl Fī Taqrīr Mā Bayn al-Sharī'ah Wa al-Hikmah Min al-Ittiṣāl Aw Wujūb al-Nazar al-'Aqlī Wa Hudūd al-Ta`wīl (al-Dīn Wa al-Mujtama')* (Beirut: Markaz Dirāsāt al-Wahdah al-'Arabiyyah, 2020), 75–76.

جذورها، مع أن رائد التجديد وهو أمين الخولي اشتهر منه أنه كان يقول إن أول التجديد قتل القديم بحثا وفهما ودراسة.[18] فلعل هذا هو السبب في كون هذه الأطروحات النقدية والتجديدية لم تفلح في زحزحة البلاغة العربية الكلاسيكية من مكانتها في السياق التعليمي والتأليفي، لعدم وصول تلك الأطروحات إلى ما وراء البلاغة كعلم بوصفه مؤسسة تتمتع أفرادها بالسلطة المعرفية التي كانت تباشر تشكيل الخطاب البلاغي في فترة التأسيس مرورا إلى فترة التقعيد.

فمِن أقدم من قام برصد هذه الأطروحات النقدية التجديدية تجاه البلاغة وتعتبر دراسته من أشمل الدراسات هو مصطفى الجويني.[19] فقد اعتمد الجويني في تصنيفه لاتجاهات التجديد وفق المعاقل المعرفية والمؤسسات التعليمية التي ينتمي إليها أصحابها دون اعتبار مرتكزات خطابية لكل من الاتجاهات. وقريب من هذا، صنعة كل من محمد رفعت أحمد زنجير وهناء عبد الرضا رحيم وبطاهر بن عيسى في بحوثهم كما تقدمت الإشارة إليها في المبحث السابق حيث ركزوا تناولهم على الجانب الشكلي من النظرية البلاغية. فمن هذه الناحية يعتبر المشروع البلاغي الذي دشّنه الصامل من بوابة الجامعة التي درّس فيها نوعا من المفاجأة في الساحة الأدبية، إذ حاول فيه ربط نقده تجاه البلاغة بالمنظومة العقائدية التي كانت توجّه مسار التأسيس. غير أننا نرى أن النقد الذي وجّهه إلى البلاغة العربية ضمن مشروعه ينطلق من مفاهيم تحتاج إلى مزيد من النظر فيها، كما أن الإجراء والبديل وفق منطلق هذا المشروع ضمن أطروحاته بحاجة إلى التحقق من حيث المآل. وهذا ما نقوم به في هذا البحث.

كما يرتبط هذا المشروع على المستوى الفكري بسياق الخطاب السلفي المعولم في هذه العقود الأخيرة. فقد احتج بيرنارد هيكل *Bernard Haykel* بأن السلفية يمكن فهمها بالنظر إلى ثلاثة عناصر أساسية مكونة، وهي الإلهيات والتشريع والسياسة.[20] فعلى صعيد أول انطلق المشروع السلفي الإصلاحي قبل كل شيء من مفاهيم السلفيين الخاصة حول الإيمان. ومن مقتضياتها تبني التفسير الموصوف بالحرفية عند خصومهم خاصة ما يتعلق بالصفات الإلهية. ومن جراء ذلك اتخذ السلفيون موقفا سلبيا تجاه عقلنة نصوص الوحي التي قام بها المتكلمون. وما دام الفكر البلاغي هو عمدة المتكلمين في تأويلاتهم، كما أن هؤلاء المتكلمين هم الذين قاموا بتنظير ذاك الفكر البلاغي، فمن الضروري لدى السلفيين المعاصرين مقاومة الخطاب الكلامي في النقطة التي تمركز فيها المتكلمون. ففي هذا السياق تموضع مشروع الصامل البلاغي وكذلك سائر الممارسات المعرفية الملحقة به. فالتقى السياقان البلاغي والعقائدي في هذا المشروع داخل أجواء تعليمية رسمية. وسنقوم بتحليل هذا المشروع والممارسات المعرفية الملحقة به وفق الاعتبارات التي ذكرناها.

إشكالية المعنى الخاص لمصطلح "أهل السنة"

لقد حدد محمد بن علي الصامل في مدخله دلالة مصطلح "أهل السنة" في مشروعه وفق المفهوم الخاص الذي تبناه. فذكر ثلاث دلالات لهذا المصطلح: أولا، كل من ينتسب للإسلام ما عدا الرافضة؛ ثانيا، ما يقابل المعتزلة فيدخل فيه الأشاعرة والماتريدية؛ ثالثا، المعنى الخاص، وهو إطلاقه على السلف الصالح أصحاب الحديث والأثر أو الفرقة الناجية.[21] واختار الصامل المفهوم الثالث بناء على الفتوى الصادرة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء التي نقلها، وهي أن "أهل السنة هم الذين اعتصموا بكتاب الله تعالى وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم في عقائدهم، وسائر أصول دينهم، ولم يعارضوا نصوصها بالعقل أو الهوى، وتمسكوا بما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من دعائم الإيمان وأركان الإسلام".[22]

[18] Yumnā Ṭarīf al-Khūlī, *Amīn Al-Khūlī Wa al-Ab'ād al-Falsafiyyah Li al-Tajdīd* (Cairo: Mu`assasah Hindāwī, 2014), 109.

[19] Muṣṭafā al-Ṣāwī al-Juwaynī, *Al-Fikr al-Balāghī al-Hadīth* (Alexandria: Dār al-Ma'rifah al-Jāmi'iyyah, 1998).

[20] Bernard Haykel, "'An Ṭabī'at al-Fikr Wa al-'Amal al-Salafiyyayn," in *Al-Salafiyyah al-'Ālamiyyah: Al-Harakāt al-Salafiyyah al-Mu'āṣirah Fi al-'Ālam al-Mutaghayyir*, ed. Roel Meijer, trans. Muhammad Mahmūd al-Tawbah (Beirut: Arab Network for Research and Networking, 2014), 63.

[21] Muhammad ibn 'Alī al-Ṣāmil, *Al-Madkhal Ilā Dirāsat Balāghat Ahl al-Sunnah* (Riyadh: Kunūz Ishbīliyā, 2005), 17.

[22] al-Lajnah al-Dā`imah Li al-Buhuth al-'Ilmiyyah Wa al-Iftā`, *Fatāwā al-Lajnah al-Dā`imah Li al-Buhuth al-'Ilmiyyah Wa al-Iftā`: al-Majmū'ah al-Thāniyah*, ed. Ahmad ibn 'Abd al-Razzāq al-Duwaysh (Riyadh: al-Ri`āsah al-'Āmmah Li al-Buhūth al-'Ilmiyyah Wa al-Iftā`, 2005), 2/411.

فاتضح من هذا النقل أن الصامل اختار أضيق المفهومات لمصطلح "أهل السنة" أو ما سماه بـ "المعنى الخاص"، وهذا يستلزم إخراج طوائف شتى من دائرة الاعتبار، لا الشيعة والمعتزلة فحسب بل الأشاعرة والماتريدية أيضا. فمِن أُولى لبنة المشروع هذه حاول صاحبه إقصاء الآخرين وحصر المرجعية على جانبه بناء على الاتجاه العقائدي. فالصامل في هذا الصدد أراد تحديد ما سماه فوكو بـ "الموقع المؤسساتي" الذي ينطلق منه في صوغ خطابه.[23] فتبين بوضوح أن مشروعه البلاغي يصاغ بناء على اتجاه عقائدي يرفض كل اتجاه كلامي وكل محاولة فكرية لعقلنة النصوص التي هي من أبرز خصائص المدارس الكلامية الإسلامية. وهذه السيمة هي سيمة الاتجاه الفكري السلفي المعاصر القائم على أطروحات ابن تيمية العقائدية التي أحياها المدرسة السلفية النجدية بدعم سياسي من الدولة السعودية.

وبطبيعة الحال تستلزم هذه النقطة اتصاف هذا المشروع البلاغي بالمعيارية في الدرجة الأولى. فهو لن ينطلق من المفاهيم الداخلية للمعرفة نفسها (أي النطاق البلاغي المحض) ولكنه يتخذ النموذج العقائدي المفضّل ثم يجعله معيارا يتم في ضوئه التأسيس والإجراء والتقييم. وبالتالي لن يأمن هذا المشروع من مهواة الانحيازات المذهبية التي كان منطلق المشروع كما زعم صاحبه تصفية البلاغة وتنقيتها منها. فالمشروع واقع فيما هو فرّ منه.

وسابقا، لقد تفطن عبد السلام المسدي إلى المنحى الذاتي كنتيجة من الدافع المذهبي العقائدي للفكر اللساني لدى العرب القدماء.[24] وإذا طبقنا هذه النتيجة على مشروع الصامل وملحقاته وجدنا نفس المنحى الذاتي ملحوظا واضحا. فإذا كان المنحى الذاتي الذي وجدناه في التراث ناشئا من التحيزات المذهبية الكلامية، فنفس الحالة تقع لمشروع الصامل البلاغي هذا. فإذا كان تبني مذهب من المذاهب الكلامية معتزليا كان أم أشعريا يؤدي إلى تحيز تنظيرا وتطبيقا، فكذلك الموقف المقابل. فإذا كان القبول هو المذهب فالرفض أيضا مذهب. وتبلور هذا الانحياز في الموقف المقابل إذا أرجعناه إلى كونه رفضا للفكر الكلامي. فالفكر السلفي القائم على أساس رفض التأويل يستلزم رفض نتائج الفكر الكلامي في هذا السياق.[25] وبالتالي، منطلق هذا الرفض هو المنطلق المذهبي الرافض لطرف المذهب المقابل. فالنتيجة هي أن يقع المشروع في نفس ما وقع فيه الطرف المقابل، أي وقع فيما فرّ منه.

وممن تبلور فيه ذلك المنحى الذاتي هو عبد المحسن العسكر. وقد اعتبر العسكر من أكثر المدافعين لمشروع "بلاغة أهل السنة" إنتاجا بل من أكبر المنظّرين لهذا المشروع. فقد نشر عدة بحوث في المجال كما سبقت الإشارة إليها. وبعض هذه البحوث نشرت قبل إصدار الصامل مقدمة مشروعه ثم كررت طبعها بشكل كتاب مستقل نظرا لاستجابات بعض الأكاديميين للمشروع. ففي ملحوظاته على كتاب *الإيضاح* - أي *الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح* للخطيب القزويني - وضع العسكر في أعلى القائمة "مسائل عقدية" تتمثل في مخالفات القزويني صاحب *الإيضاح* لمعتقد أهل السنة - بمفهومه الخاص لديه - في باب صفات الله من جراء كون القزويني أشعريا. كما زعم العسكر بأن القزويني قد استغلّ علم البلاغة لخدمة مذهبه العقائدي. وقد أحصى عدد النصوص التي صرفها أي أوّلها في بحثه سبع صفات من صفات الباري.[26] ولم يكتف بتخطئة القزويني فحسب، بل ألقى اللوم على زملائه الذين قاموا بتدريس هذا الكتاب ولم ينبّهوا على هذه "المخالفات العقدية"، فعدّ ذلك قصورا منهم ومجانبة للصواب، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز كما زعم.

فالعسكر هنا صرح بمعيار تقويمه للأعمال البلاغية التي أنتجها القزويني، وهو إناطته بمذهب عقائدي ينتمي إليه ثم يحكم على غيره بمقتضى موقفه العقائدي داخل الحقل

[23] Michel Foucault, *Hafriyāt al-Ma'rifah*, trans. Sālim Yāfūt (Beirut - Dar El Beida: al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, 1987), 49.

[24] 'Abd al-Salām al-Musaddī, *Al-Tafkīr al-Lisānī Fī al-Haḍārah al-'Arabiyyah* (Tripoli: al-Dār al-'Arabiyyah Li al-Kitāb, 1986), 100.

[25] Ahmad ibn 'Abd al-Halīm Ibn Taymiyyah, *Majmū' al-Fatāwā*, ed. 'Abd al-Rahman ibn Muhammad Ibn Qāsim (Al Madinah Al Munawwarah: King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex, 1995), 3/67; Muṣṭafā Hilmī, *Qawā'id al-Manhaj al-Salafī Fī al-Fikr al-Islāmī: Buhūth Fī al-'Aqīdah al-Islāmiyyah* (Beirut: Da>r al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2005), 162.

[26] al-'Askar, "Iṣlāh Al-Īḍāh: Istidrākāt Wa Munāqashāt Li Masā`il Fī Kitāb al-Īḍāh Li al-Khaṭīb al-Qazwīnī," 476.

البلاغي. ومن أجل ذلك، جرّ هذا الموقف إلى تخطئة القزويني، لا لعدم توفر الشروط الفنية المتبعة في ضوء علم البلاغة، ولكن لموافقة القزويني رأي الأشاعرة، الطائفة المخالفة للمدرسة التي ينتمي إليها العسكر عقائديا. وتبلور ذلك في النموذج الذي ذكره وطبق فيه نظرته العقائدية في تعليقه على استشهاد القزويني بالآية {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا} [الأنفال: 2] حيث جعلها القزويني من قبيل المجاز العقلي بنسبة الزيادة التي هي فعل الله إلى الآيات لكونها سببا فيها. وهذا التخريج البلاغي رفضه العسكر بناء على رأيه بأن منطلق هذا التوجيه هو رؤية الأشاعرة في مسألة السببية القائمة على مجرد الاقتران بحسب زعمه. وبما أن هذه الرؤية مخالفة للمقررات العقائدية التي تبناها العسكر فسارع إلى تخطئة القزويني الذي طبق هذه الرؤية الأشعرية. فأصبحت صورة القضية هي "باحث سلفي ينتقد مؤلفا أشعريا"، بغض النظر عن المجال المعرفي الذي أجرى فيه الباحث قلمه، لأن معيار النقد هو كون القزويني أشعريا يخالف اتجاه عبد المحسن العسكر السلفي كالباحث الناقد.

فبذلك صارت القضية اتهام الخصم بالذاتية لانطلاقه من الموقف العقائدي، وبالتالي وجّه إليه سهام التخطئة مبينا الصواب فيه بحسب الموقف العقائدي المقابل الذي رآه وتبناه هو. فبدون أن يشعر تتجلى هنا نفس الذاتية التي ادعاها على القزويني، مع أنه في هذه الأوراق باحث يجب أن يلتزم بالموضوعية. فمن حيث يشعر أو لا يشعر وقع هو فيما فرّ منه. فإذا ادعى العسكر على القزويني أنه قام بأدلجة البلاغة في استشهاده بالآية السابقة حيث تبنى الرؤية العقائدية المسبقة ثم بنى عليها تنظيره وتطبيقه، فنقد هذه الأدلجة من قبل العسكر أيضا أدلجة أخرى، إذ المنطلق فيه الرؤية العقائدية المسبقة كذلك، وإن كانت في الاتجاه المقابل. هذا مع عدم الدقة في النقل عن الأشاعرة حيث إن هناك ضوابط لفهم قضية السببية من المنظور الكلامي لا بد من مراعاتها حتى لا يفضي إلى إساءة الفهم للقضية. فالبون شاسع بين النظر في توجيه الاقتران القائم والنظر في وقوع الاقتران.[27] كما أن ما رآه العسكر صوابا يلتقي في المآل مع نظرية "السبب الجعلي" لدى الغزالي. فعلى كلٍّ لا يخفى فيه المنحى الذاتي الذي يحيط بنقده. وبهذا يستنتج الباحثون أن المشروع في الحقيقة مجرد انتقال الذاتية من ذاتية المتكلمين إلى ذاتية الرافضين للفكر الكلامي، ولا يخفى ما فيه من ذهاب الموضوعية ضحية له.

وفي النهاية، هذه الإشكالية ستعيد (أو ستواصل) المعركة العقائدية بين المدارس الفكرية الإسلامية القديمة، خاصة بين أتباع ابن تيمية وخصومه من المتكلمين. وهذا النوع من الاجترار المنغلق للماضي حتما يحول دون التجديد.[28] وبتعبير آخر يمكن أن يقال إن هذا المشروع يمثل محاولة أتباع التيار السلفي المعاصر ليثبتوا حضورهم خارج النطاق العقائدي الذي دندنوا فيه وهو النطاق البلاغي محاولين إثبات مقرراتهم العقائدية ودعمها ردا على تنظيرات المتكلمين اللغوية في مدوناتهم الكلاسيكية. هذه وإن زادت على الأجواء العلمية خصبة بيد أنها في نظرنا لا تُصلح للبلاغة العربية أمرها، لأنها ستجرّ تلك المعارك الفكرية المحضة المعقّدة داخل النطاق البلاغي القائم على تذوق الجمال. وخيف أن تقضي تلك على هذا. وبالتالي عدلوا من حيث لا يشعرون عن توجيه النصوص بلاغيا إلى توجيه الأفكار عقائديا، فلا البلاغة أصلحت ولا النصوص جملت ولا المعاني انتصرت.

إشكالية المرجعية

من السهل جدا التنبؤ بجذر الإشكالية السابقة، وهي إشكالية تجذّر الأطروحات التيمية التي بني عليها الاتجاه السلفي المعاصر. ومن السيمة المشتركة بين مؤيدي هذا المشروع والمشتغلين في هذا المجال هو انحيازهم للأطروحات التيمية في التأسيس العقائدي. ففي كتابه *البلاغة في ضوء مذهب السلف في الاعتقاد* مثلا، عقد العسكر فصلا خاصا بعنوان "مجمل عقيدة السلف"، أي في مسألة الأسماء

[27] 'Abd al-Razzāq Muhammad, *Fī Al-Ārā` al-Ṭabī'iyyah Li Mutakallimī al-Islām Wa Maqāṣidihā al-Ilāhiyyah* (Beirut: Namaa Center for Research and Studies, 2018), 259.

[28] Hasan Sulaymān Qaylī, "Al-Khiṭāb al-Salafī Wa Sulṭat al-Naṣ: Bahth Fī al-Ma'rifah al-Salafiyyah Bayn al-Naṣ Wa al-Ijtihād," *Al-Mustaqbal al-'Arabī*, no. 505 (2021): 133–42.

والصفات.[29] وهذه العقيدة التي سماها "عقيدة السلف" عمدتها أطروحة ابن تيمية كما صرح العسكر بالنقل عنه. وقد صرح كارل شريف إل توبغوي *Karl Sharif El-Tobgui* بأن الرؤية التيمية للعالم تتمحور على سلطة السلف ليس فقط في المعرفة وفهم الوحي وإنما في حجية أعرافهم اللغوية أيضا.[30] فبناء على ذلك، من الضروري أن تبنى الآلية التفسيرية على هذا المبدأ تسليما لتلك السلطة المرجعية وفق الصياغة التي ارتضاها صاحب الرؤية. وآثرنا التنبيه على نسبة الصياغة إلى صاحب الرؤية لأن ذلك هو الذي تحقق، وأما مطابقة هذه الرؤية فعلا لما درج عليه الأولون فخاضعة للنظر فيه. ومن هذا القبيل نقد رائد السمهوري تجاه قضية مصداقية الدعوى باتباع السلف مع أنه في الحقيقة اتباع السلف المتخيل وفق تعبيره، ومن ثم يتم إعادة إنتاج هذا المتخيل في العصور اللاحقة.[31]

فهذه الممارسة المعرفية في إرجاع صياغة خطابية إلى مرجعية فكرية سابقة هي عين ما سماه فاركلوف بالتناص السافر حيث يوجد داخل نص ما "نص آخر" يتم دمجه فيه ليصبح الأرضية المشتركة التي تتمتع بالمرجعية.[32] فهذا الآخر بمرجعيته يمدّ مسلَّمات أيديولوجية تجعل النص يتمكن من القيام بالممارسات السلطوية. وهذه الخاصية لها أهميتها ليس فقط على مستوى إنتاج النص أو الخطاب وتوزيعه، بل على مستوى استهلاكه أيضا حيث يُفهَم النّصُّ المستهلك في ضوء ذاك النص الآخر المرجعي. وصاحب هذا النص المرجعي هو عبارة عمن لديه حق في التلفظ بخطاب.[33] فابن تيمية عند صاحب هذا المشروع ومؤيديه هو المرجع الوحيد الذي له شرعية وسلطة في تعيين "سلفية" الصياغة العقائدية ومدى مقبوليتها. وبالتالي لا بد أن تصاغ الخطابات الفرعية وفق أطروحاته ما دام الغرض من المشروع جعل علم البلاغة صافيا موافقا لما يقال إنه "معتقد السلف".

وهذه الإشكالية تحمل في طياتها خصائص "التأويل الابتلائي" أو ما اشتهر بالقراءات الحرفية التي نسبت كثيرا إلى الفكر التيمي. وقد ذكر منصور الهجلة أربع ملامح للتأويل الابتلائي في الأطروحات التيمية، وهي قصور محددات فهم النص، والنزعة الجزمية، والنزعة التلقينية، والنزعة النقائية.[34] فبمجرد النظر إلى النقطة الأولى وجد القارئ أن هذه الأطروحات لن تتيح فسحة كافية لآليات تفسيرية موسعة صاغها الفكر الإسلامي بشتى مدارسها. ومع ذلك يقطع المنتمون إلى هذه الرؤية التيمية على مطابقة هذا الفهم للنص دون طرح شك واحتمال من جراء النزعة الجزمية لديهم. وبالتالي بمقتضى النزعة التلقينية يطلب من الجميع التسليم والقبول دون أي مناقشة حقيقية بمجرد إضافة الرأي إلى السلف ونسبته إليهم. وفي النهاية يعتقدون أن منهجهم وممارسته ونتائجه لا يحيد عن الحق قيد شبر، فمن خالفهم في شيء منها فليسوا بأنقياء. فبمقتضى ذلك يستلزم تبني هذه الأطروحات داخل المشروع البلاغي الرفض التام لمعارضة النصوص بالعقل، أو بتعبير أدقّ اتخاذ الموقف السلبي تجاه عقلنة النصوص. فصرامة المعيار في عدم قبول معارضة النصوص بالعقل سيستلزم رفضا تاما لأعمال طائفة كبيرة من أهل العلم الذين يسعون إلى عقلنة النصوص تنظيرا في كتب الأصول الكلامية وتطبيقا في كتب التفاسير القرآنية وشروح الأحاديث النبوية.

مع أنه ثبت عن أحمد بن حنبل - وهو مرجع أساسي لمن تبنى الخطاب السلفي المعاصر - ممارسة التأويل العقائدي وجعله مخرّجا على التخريج اللغوي متكئا على مجازية الأسلوب. قال أحمد: "أما قوله: {إِنَّا مَعَكُمْ} فهذا في مجاز اللغة، يقول الرجل للرجل: إنا سنجري عليك رزقا، إنا سنفعل بك كذا. وأما قوله: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} فهو جائز في اللغة، يقول الرجل الواحد للرجل: سأجري عليك رزقاً، أو

[29] al-'Askar, *Al-Balāghah Fī Ḍaw` Madhhab al-Salaf Fī al-I'tiqād*, 57.

[30] Carl Sharif El-Tobgui, *Ibn Taymiyya on Reason and Revelation: A Study of Dar ʾ Taʿāruḍ al-ʿAql Wa al-Naql* (Leiden: Brill, 2020), 206–8.

[31] Muhammad Salah Salim, "Imagined Ancestors: An Analytical Historical Approach to the Idea of the Ancestors in the Context of the Mihna, Ahmed Bin Hanbal and the Imagined Ahmed Bin Hanbal by Raed Al–Samhouri," *Tabayyun* 36, no. 9 (2021): 201–11.

[32] Norman Fairclough, *Al-Khiṭāb Wa al-Taghayyur al-Ijtimā'ī*, trans. Muhammad 'Anānī (Cairo: al-Markaz al-Qawmī Li al-Tarjamah, 2015), 110.

[33] Foucault, *Hafriyāt Al-Ma'rifah*, 48.

[34] Mansour Turki Alhajlah, "Al-Salafiyyah Wa Manhajiyyat al-Ta`wīl al-Ibtilaī Li al-Naṣ Min Khilāl Ta`wīliyyah Ibn Taymiyyah," in *Al-Wahhābiyyah Wa al-Salafiyyah: Al-Afkār Wa al-Āthār* (Beirut: Arab Network for Research and Networking, 2016), 187–88.

سأفعل بك خيرًا".[35] تبين من هذا أن اعتماد العقل في تأويل الظاهر وتخريجه على المجاز ليس من خاصية المتكلمين، ومن ثم لا ينبغي أن يتهم المجاز كأداة لإشباع رغبات المؤولين أو أداة تطويع النصوص عقائديا على سبيل الاطراد كما تكرر لدى مؤيدي هذا المشروع البلاغي.

بل أثبت ياسر المطرفي من خلال استقرائه لمراحل الحجاج العقائدي لدى أهل الحديث (وهذا لقب من ألقاب أهل السنة بمعناه الخاص كما في الفتوى المشار إليها) أن المرحلة الثانية منها التي ظهر فيها منافحة أحمد بن حنبل عن العقائد السنية لقد تم فيها استخدام الأداتين في سبيل الحجاج، وهما اللغة والعقل. كما انتهى المطرفي إلى أنه مبدئيا لا خلاف في استخدام العقل في التأويل بين الطبري والمتكلمين، وكذلك لا خلاف بين الدارمي والمتكلمين في استخدامه في الحجاج العقائدي، مع الاعتراف بالاختلاف بين الطائفتين أهل الحديث والمتكلمين من حيث التوسع.[36]

وإذا ربطنا هذه الظاهرة بالأسس التي بني عليها مشروع الصامل البلاغي وملحقاته، خاصة أساس "المعنى الخاص لمصطلح أهل السنة" الذي مرجعه تبني الأطروحات العقائدية التيمية وجدنا هذا المشروع يواجه إشكالية معقدة، حيث يستلزم رد مثل هذه الممارسات التأويلية داخل صفوف أهل الحديث أنفسهم وعلى رأسهم أحمد بن حنبل الذي يتمتع بالمرجعية الفكرية فقها وعقائديا لدى التيار السلفي المعاصر والمؤسسات الدينية في السعودية ورجالها. ولكن هذه التأويلات بما فيها التخريجات اللغوية (البلاغية) ستظل مقبولة ما دامت تتسق مع المعالم العقائدية التي تبنوها. وبالتالي لا يبقى للمشروع إلا المعيار الذاتي المتحيز نفسه، وهو نفس الأمر الذي أضفاه صاحب المشروع لأعمال البلاغيين نظرا إلى انتمائهم العقائدية.

كما تجرّ هذه الإشكالية إلى إشكالية أخرى وهي الموقف تجاه المخالف وقلة المراجع. بما أن هذا المشروع البلاغي معياري متحيز قائم على الأطروحات العقائدية التيمية المضادة للفكر الكلامي، فاضطرّ الصامل إلى عمل قائمة كبيرة تتكون من أعلام البلاغيين طوال العصور مع التقييم العقائدي لأعمالهم، فلا يكاد يسلم منهم إلا النزر اليسير. وتمتدّ هذه القائمة التقويمية من الصفحة 22 إلى نهاية الصفحة 116 من مدخله، أي يمثل أكثر من نصف الكتاب. وهذا إن دل على شيء فهو يدل على واقع غالب المؤلفات البلاغية في أنها لا تمشي مع المعايير العقائدية التي تبناها الصامل واعتمد عليها. وإشكالية الموقف من المخالف هذه ستجرّ إلى إشكالية أخرى كما قلنا وهي قلة المراجع وندرتها لمشروعه. وقد اعترف الصامل بأن أعضاء مجلس القسم كانوا يقدمون أمامه تساؤلا حول هذه الإشكالية عند طرحه لهذا المشروع بيد أنه استطاع إقناعهم على أن الأمر بحاجة إلى مزيد من الجهد، كما أن الجديد مثل ما طرحه مناسب لطبيعة مستوى طلبة الدراسات العليا.

ولعله تنبه إلى عرضته لهذه الإشكالية فعقد فصلا خاصا ووضعه قبل تلك القائمة التي تستغل قدرا كبيرا من الكتاب ليخرج عن هذا المأزق قائلا: "على من يحكم بالسنية؟ أعلى الرجال أم على المؤلفات؟".[37] فأجاب أن الأصل فيه إطلاق السنية على الأشخاص، لكنه عدل عن هذا الأصل وجعل أولوية الإطلاق على المؤلفات لا على المؤلفين لاعتبارات شتى. وهي أنه أراد إبراز المنهج لا تعداد أشخاص، وأن بعض المؤلفين لا يتيسر الوقوف على انتسابه إلى تيار معين، وأن بعضهم نسب إلى تيار معين غير أن في أعمالهم ما يخالف ذلك، كما وقع لبعض الأعلام نسبته إلى غير أهل السنة لكن ما يحتويه كتبهم موافق لأهل السنة في كثير من المسائل، وضرب الصامل مثالا لهذا بـ الباقلاني، فهو أشعري - أي ليس سنيا بالمفهوم الخاص الذي تبناه -، لكنه كما قال ينتفع بآرائه في المجال لموافقتها بأهل السنة في كثير من المسائل. كما أن بعض الشخصيات مرت بمراحل فكرية متعددة في حياته. فبهذه الاعتبارات جعل الصامل الحكم بالسنية على المؤلفات لا على المؤلفين. وبهذا اندفعت عنه إشكالية قلة المراجع شيئا ما.

[35] Ahmad ibn Muhammad ibn Hanbal al-Shaybānī, *Al-Radd 'Alā al-Jahmiyyah Wa al-Zanādiqah*, ed. Ṣabrī Salāmah Shāhīn (Riyadh: Dār al-Thabāt, 2003), 92.

[36] Yāsir ibn Māṭir al-Maṭrafī, *Al-'Aqā`idiyyah Wa Tafsīr al-Naṣ al-Qur`ānī: Al-Manāhij - al-Dawāfi' - al-Ishkāliyyat - al-Mudawwanāt (Dirāsah Muqāranah)* (Beirut: Namaa Center for Research and Studies, 2016), 326–27.

[37] al-Ṣāmil, *Al-Madkhal Ilā Dirāsat Balāghat Ahl al-Sunnah*, 18–21.

ولكن المشروع لم ينج من التحيز العقائدي، وبالتالي ملامح التأويل الابتلائي التي تحفّ الفكر التيمي ستظل معرقلة لمآلات المشروع إذ تستلزم أن تتناول البلاغة منقطة الصلة عن تاريخها عبر الأزمان، إذ الغالبية العظمى من منظريها لم يكونوا على النمط العقائدي الذي ارتضاه التيار السلفي المعاصر، فأعمالهم وجهودهم التأسيسية عرضة للتهميش وأصبحت البلاغة تُعرَض بالشكل اللاتاريخي.

إشكالية السلطة

تبنى الصامل مفهوما خاصا لمصطلح "أهل السنة" كما سبق بناء على الفتوى الصادرة عن اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء التابعة للدولة. وهذا يدل على الهيمنة الأيديولوجية التي تبلورت في صورة مؤسسة الإفتاء الرسمية الناطقة باسم الدولة. ومن ثم تصوغ إحدى المؤسسات التعليمية الرسمية التابعة للدولة أيضا أي الجامعة الحكومية تباعا لما صدر عن مؤسسة الإفتاء خطابا معرفيا يتم من خلاله إقصاء الآخرين المخالفين للبنية الأيديولوجية التي تبنتها. وبالتالي تتخذ هذا الخطاب كالمسار المعياري تمارس عليه الأعمال البحثية من حيث الأهداف والإجراء والإنتاج والتقييم. ويزيد الأمر أشد أهمية إذا نظرنا إلى دور هذه الجامعة كأحد المنافذ المهمة لنشر الخطاب الديني الذي تبنته الحكومة السعودية وعولمته عابرا للقوميات.[38]

فهذه الظاهرة كما سبق أن قلنا تمثل الصراع على المرجعية، أو بتعبير أدق تمثل الصراع على السلطة. فأمامنا خطابان متصارعان اكتسب أحدهما الغلبة طوال الأعصار ويكاد يصيب الآخرَ ركودٌ واضمحلال. فاستيقظ هذا الأخير بفضل التجنيد المؤسساتي والدعم السياسي ليبدأ المقاومة من جديد ويحاول أن ينتزع الهيمنة من خصمه. وجاء مشروع الصامل هذا مستوردا ذاك الخطاب الأخير ليندمج في داخله، فهو عبارة عن الخطاب المعرفي في صورة الخطاب البلاغي بيد أن وراءه سلطة عقائدية مدعومة من قبل سلطة سياسية. وهذا عين ما أشار إليه فاركلوف قائلا "إن النظام الاجتماعي للخطاب يصبح كيانا كليا متماسكا بفضل التأثير الخفي للسلطة".[39] كما نقل السعيد عموري عن ألتوسير *Althusser* بخصوص الأيديولوجيا ودور أجهزة الدولة في إرسائها. وذلك من خلال حضورها الاجتماعي عبر مختلف الأجهزة لتؤدي وظيفتها في حفظ مكانتها وبقاء سيطرتها وتحقيق هيمنتها. والملاحظ أن المؤسسات التعليمية تعتبر من ضمن هذه الأجهزة الأيديولوجية.[40] فمن هذه الناحية لم يكن المشروع علميا محضا بل أيديولوجيا سياسيا. فليس من الغريب أن توصّل عمرو بسيوني في دراسته عن الدرس العقائدي المعاصر إلى أن السعودية هي المُنتِج الأساسي للسلفية المعاصرة حيث أمدّت لها بالدعم المعرفي واللوجستي معا.[41] فالمضامين المعرفية التي أمدّتها الدولة لم تقتصر على النطاق العقائدي فحسب، بل تتعداه إلى النطاق اللغوي الأدبي، وهو المجال البلاغي الذي حاول الصامل طرح مشروعه فيه داخل المؤسسة الرسمية التابعة للدولة.

خاتمة

في ختام هذه الوريقات، يتأتى للباحثين أن يقولوا إن مشروع محمد بن علي الصامل تبلور في نهاية المآل تصفيةً للبلاغة العربية من تأثير الخطاب الكلامي. ومع أن هذا المشروع يكاد في بدايته يتفق مع نتائج بعض الدراسات السابقة في نقد التراث من أن البلاغة العربية تعاني تأثيرا بالغا من علم الكلام منذ نشأتها إلى مرحلة تقعيدها، بيد أنه راح ينطلق بعد ذلك إلى اتجاه أشبه بمعياري قائم على أساس التنقية والانتقاء. من ذلك تبنيه مدلولا خاصا لـ "أهل السنة والجماعة" مبنيا على التصور الخاص لهذا المصطلح، ولا شك

[38] Peter Mandaville, "Wahhabism and the World: The Historical Evolution, Structure, and Future of Saudi Religious Transnationalism," in *Wahhabism and the World: Understanding Saudi Arabia's Global Influence on Islam* (New York: Oxford University Press, 2022), 15; Noorhaidi Hasan, "Salafism, Education, and Youth: Saudi Arabia's Campaign for Wahhabism in Indonesia," in *Wahhabism and the World: Understanding Saudi Arabia's Global Influence on Islam* (New York: Oxford University Press, 2022), 139.

[39] Norman Fairclough, *Al-Lughah Wa al-Sulthah*, trans. Muhammad 'Anānī (Cairo: al-Markaz al-Qawmī Li al-Tarjamah, 2016), 84.

[40] Al-Sa'īd 'Amūrī, "Al-Aydiyūlūjiya/ al-Khiṭab/ al-Naṣ: Muqārabah Mafāhīmiyyah," *Majallat Al-'Ulūm al-Ijtimā'iyyah al-Insāniyyah* 14, no. 29 (2013): 127–56.

[41] 'Amr Basyūnī, *Al-Dars al-'Aqadī al-Mu'aṣir: Qirā`ah Tahlīliyyah Li al-Dars al-'Aqadī 'Inda al-Salafiyyah Wa al-Ash'ariyyah Wa al-Shī'ah* (Beirut: Namaa Center for Research and Studies, 2015), 56.

أن ذلك يثير قلقا فيما يخص موضوعية المشروع ومنتجاته. ويترتب على ذلك تجسد الانحيازات المذهبية من جراء المنحى الذاتي الذي سلكه المشتغلون بهذا المشروع، لأنه في الحقيقة مجرد انتقال الذاتية من ذاتية المتكلمين إلى ذاتية الرافضين للفكر الكلامي، ولا يخفى ما فيه من ذهاب الموضوعية ضحية له. هذا ما يتعلق بأشكلة الموضوعية. وأما جدارة هذا المشروع في أن يرجى منه تأسيس خطابي جديد لعلم البلاغة فشيء قد يستبعده الباحثون. ذلك لأنه في الحقيقة يمثل ممارسة خطابية يتم من خلالها ممارسات سلطوية لإقصاء الآخرين وانتزاع المرجعية عنهم، فهو يجرّ من جديد نفس الصراع العقائدي القديم إلى نطاق البلاغة والنقد الأدبي، كما أنه يؤدي إلى طمس جهود السابقين وتناول البلاغة بالشكل اللاتاريخي، والسبب هو إرجاع علم البلاغة في أسسه البديلة إلى نفس النوع من المرجعية، وهي المرجعية العقائدية المعيّنة ضد المرجعية العقائدية الأخرى. ومن حيث السياق الاجتماعي، فقد تموضع هذا المشروع فيه بدعم المؤسسة التعليمية الرسمية التابعة لسلطة الحكومة. وهذا يوحي بتأييد أيديولوجي كسياسة تمارسها مؤسسة الدولة التي تموّلها، وهذا يعني توجيه المسار العلمي توجها متحيّزا سياسيا وأيديولوجيا. وباختصار يقال إن المشروع انطلق من نقد الأدلجة وانتهى إلى أدلجة النقد أو النقد المؤدلج.

شكروتقدير

الباحثون ممتنون لجميع من ساهم بكل دعم في إعداد هذا البحث وإتمامه.

تضارب المصالح

لم يتلقّ الباحثون أي دعم مالي من أي منظّمة دينية أو جهة أخرى يتأتى لها أن تؤثر في البحث بما لا يليق بطبيعة البحث العلمي ومساره.

مساهمات المؤلفين

ساهم جميع الباحثين المدرج أسماؤهم ضمن أوراق هذا البحث. فقام محضر بإعداد مسودة البحث. وقام مسروحين وعبد الله بتشكيل الإطار النظري وتوفير المقاربات النقدية وإتاحة بعض الموارد الإضافية. كما قاما بمراجعة المسودة وتقييمها وفق المعايير الأكاديمية.

الاعتبارات الأخلاقية

التزم هذا البحث بجميع المعايير الأخلاقية لإجراء البحث دون اتصال مباشر مع الأشخاص أو الحيوانات.

معلومات التمويل

يتم إجراء هذا البحث من دون أي تمويل من قبل أي وكالة في القطاع التجاري أو العام أو غير الربحي.

تو افر البيانات

بما أنه لم يتم إنشاء أو تحليل بيانات جديدة في هذه الدراسة فلا تنطبق مشاركة البيانات على هذا البحث.

تنويه

جميع الآراء والافتراضات الواردة في هذا البحث تابعة لأصحابها، ولا تعكس بالضرورة السياسات أو المواقف الرسمية لأي جهة ينتمي إليها الباحثون.

مراجع

'Abd al-Laṭīf, 'Imād. "Madkhal Ilā Mashrū' al-Balāghah al-'Āmmah: A'māl al-'Umarī Min Nawāfidh Jabrī." *Al-Balāghah Wa Tahlīl al-Khiṭāb*, no. 19 (2019): 103–18.

Abū Zayd, Naṣr Hamid. *Al-Ittijāh al-'Aqlī Fī al-Tafsīr: Dirāsah Fī Qaḍiyyah al-Majāz Fī al-Qur`ān 'Inda al-Mu'tazilah*. al-Dār al-Bayḍa`: al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, 1996.

———. *Ishkāliyāh Al-Qirā`ah Wa Āliyāt al-Ta`wīl*. al-Dār al-Bayḍa`: al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, 2014.

Alhajlah, Mansour Turki. "Al-Salafiyyah Wa Manhajiyyah al-Ta`wīl al-Ibtilaī li al-Naṣ Min Khilāl Ta`wīliyyah Ibn Taymiyyah." In *Al-Wahhābiyyah Wa al-Salafiyyah: Al-Afkār Wa al-Āthār*. Beirut: Arab Network for Research and Networking, 2016.

Al-Lajnah al-Dā`imah Li al-Buhūth al-'Ilmiyyah Wa al-Iftā`. *Fatāwā Al-Lajnah al-Dā`imah Li al-Buhūth al-'Ilmiyyah Wa al-Iftā`: Al-Majmū'ah al-Thāniyah*. Edited by Ah}mad ibn 'Abd al-Razzāq al-

Hasan, Noorhaidi. "Salafism, Education, and Youth: Saudi Arabia's Campaign for Wahhabism in Indonesia." In *Wahhabism and the World: Understanding Saudi Arabia's Global Influence on Islam*. New York: Oxford University Press, 2022.

Haykel, Bernard. "'An Tabī'at al-Fikr Wa al-'Amal al-Salafiyyayn." In *Al-Salafiyyah al-'Ālamiyyah: Al-Harakāt al-Salafiyyah al-Mu'āṣirah Fi al-'Ālam al-Mutaghayyir*, edited by Roel Meijer, translated by Muh}ammad Mahmud al-Tawbah. Beirut: Arab Network for Research and Networking, 2014.

Hilmī, Mustafā. *Qawā'id al-Manhaj al-Salafī fī al-Fikr al-Islāmī: Buhūth fī al-'Aqīdah al-Islāmiyyah*. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2005.

Hanā`ī, 'Abd al-Ridā Rahīm al-Rabī'. "Bawā'ith al-Tajdīd al-Balāghī Bayn al-Aṣālah Wa al-Mu'āṣarah." *Majallah Ādāb Dhī Qār*, no. 20 (2016): 198–242.

Ibn Taymiyyah, Ah}mad ibn 'Abd al-Halīm. *Majmū' al-Fatāwā*. Edited by 'Abd al-Rahman ibn Muhammad Ibn Qāsim. Al Madinah Al Munawwarah: King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex, 1995.

Jabri, Mohammed Abed al-. *Binyat Al-'Aql al-'Arabī*. Beirut: Markaz Dirāsāt al-Wahdah al-'Arabiyyah, 2013.

———. "Madkhal 'Ām: Tārīkh al-'Alāqah Bayn al-Dīn wa al-Falsafah Fī al-Islām." In *Faṣl Al-Maqāl Fī Taqrīr Mā Bayn al-Sharī'ah Wa al-Hikmah Min al-Ittiṣāl Aw Wujūb al-Nazar al-'Aqlī Wa Hudūd al-Ta`wīl (al-Dīn Wa al-Mujtama')*. Beirut: Markaz Dirāsāt al-Wahdah al-'Arabiyyah, 2020.

Al-Juwaynī, Muṣṭafā al-Ṣāwī. *Al-Fikr al-Balāghī al-H{adīth*. Alexandria: Dār al-Ma'rifah al-Jāmi'iyyah, 1998.

Al-Khūlī, Yumnā Tarīf. *Amīn Al-Khūlī Wa al-Ab'ād al-Falsafiyyah Li al-Tajdīd*. Cairo: Mu`assasah Hindawi, 2014.

Kouloughli, Djamel E. "Ta`thīr Al-Mu'tazilah Fī Nash`at al-Balāghah al-'Arabiyyah Wa Tatawwurihā." In *Dirāsāt Fī Tārīkh 'Ilm al-Kalām Wa al-Falsafah*, edited by Rushdī Rāshid. Beirut: Markaz Dirāsāt al-Wahdah al-'Arabiyyah, 2014.

Mandaville, Peter. "Wahhabism and the World: The Historical Evolution, Structure, and Future of Saudi Religious Transnationalism." In *Wahhabism and the World: Understanding Saudi Arabia's Global Influence on Islam*. New York: Oxford University Press, 2022.

Duwaysh. Riyadh: al-Ri`āsah al-'Āmmah Li al-Buhūth al-'Ilmiyyah Wa al-Iftā`, 2005.

'Amūrī, al-Sa'īd. "Al-Aydiyūlūjiya/ al-Khiṭab/ al-Nas}: Muqārabah Mafāhīmiyyah." *Majallah Al-'Ulūm al-Ijtimā'iyyah al-Insāniyyah* 14, no. 29 (2013): 127–56.

Askar, 'Abd al-Muhsin ibn 'Abd al-Azīz. *Al-Balāghah Fī Daw` Madhhab al-Salaf Fī al-I'tiqād*. Riyadh: Maktabah Dār al-Minhāj, 1435.

———. "Al-Majāz Min al-Ibdā' Ilā al-Ibtidā'." *Majallah Al-Dirāsāt al-Islāmiyyah* 26, no. 3 (2014): 49–113.

———. "Iṣlāh Al-Idāh: Istidrākāt Wa Munāqashāh Li Masā`il Fī Kitāb al-Idah Li al-Khaṭīb al-Qazwīnī." *Majallah Jāmi'at al-Imām Muhammad Ibn Sa'ūd al-Islāmiyyah*, no. 49 (2005).

Atabik, Ahmad. "The Discourse of Qur'anic Metaphors: The Embryo of Theological Sects Disputes in Comprehending the Holy Qur'an." *ESENSIA: Jurnal Ilmu-Ilmu Ushuluddin* 22, no. 1 (2021): 45–61.

Basyūnī, 'Amr. *Al-Dars al-'Aqadī al-Mu'aṣir: Qirā`ah Tahlīliyyah Li al-Dars al-'Aqadī 'Inda al-Salafiyyah Wa al-Ash'ariyyah Wa al-Shī'ah*. Beirut: Namaa Center for Research and Studies, 2015.

Batāhir, Bin'īsā. "Taysīr Al-Balāghah Fī al-'Aṣr al-Hadiīth: Murāja'ah Wa Taqwīm." *Al-Majallah al-'Arabiyyah Li al-'Ulum al-Insa>niyyah* 36, no. 143 (2018): 163–91.

Binsa'īd, Mahā. "Al-Mashrū' al-Balāghī Li Muhammad Mishbāl: Balāghah al-Hijāj Nahwa Muqārabah Balāghiyyah Li Tahlīl al-Khiṭābāt." *Afkar*, no. 371 (2019): 71–74.

El-Tobgui, Carl Sharif. *Ibn Taymiyya on Reason and Revelation: A Study of Darʾ Taʿāruḍ al-ʿAql Wa al-Naql*. Leiden: Brill, 2020.

Fairclough, Norman. *Al-Khiṭāb Wa al-Taghayyur al-Ijtimā'ī*. Translated by Muhammad 'Anānī. Cairo: al-Markaz al-Qawmī li al-Tarjamah, 2015.

———. *Al-Lughah Wa al-Sulthah*. Translated by Muhammad 'Anānī. Cairo: al-Markaz al-Qawmī li al-Tarjamah, 2016.

Foucault, Michel. *Hafriyāt Al-Ma'rifah*. Translated by Salim Yafut. Beirut - Dar El Beida: al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi, 1987.

Salim, Muhammad Salah. "Imagined Ancestors: An Analytical Historical Approach to the Idea of the Ancestors in the Context of the Mihna, Ahmed Bin Hanbal and the Imagined Ahmed Bin Hanbal by Raed Al–Samhouri." *Tabayyun* 36, no. 9 (2021): 201–11.

Shaybānī, Ahmad ibn Muhammad ibn Hanbal al-. *Al-Radd 'Alā al-Jahmiyyah Wa al-Zanādiqah*. Edited by Sabrī Salāmah Shāhīn. Riyadh: Dār al-Thabāt, 2003.

Al-'Ulaywī, Yūsuf b. 'Abdillah. *Al-Tawjīh al-Balāghī Li Āyāt al-'Aqīdah Fi al-Mu`allafāt al-Balāghiyyah Fī al-Qarnayn al-Sābi' Wa al-Thāmin al-Hijriyyayn*. Riyadh: Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University, 2008.

Zanjīr, Muhammad Rif'at Ahmad. *Mabāhith Fi Al-Balāghah Wa I'jāz al-Qur`ān*. Dubai: Dubai International Holy Quran Award, 2008.

Zarrūq, al-Husayn. *Juhūd Al-Ummah Fī al-I'jāz al-Bayānī Li al-Qur`ān al-Karīm: Al-Masār Wa al-Ma`āl Wa al-Maktabah*. Cairo: Dār al-Salām, 2013.

Al-Matrafī, Yāsir ibn Mātir. *Al-'Aqā`idiyyah Wa Tafsīr al-Nas al-Qur`ānī: Al-Manāhij al-Dawāfi' al-Ishkāliyyat al-Mudawwanāt (Dirāsah Muqāranah)*. Beirut: Namaa Center for Research and Studies, 2016.

Muhammad, 'Abd al-Razzāq. *Fī al-Ārā` al-Tabī'iyyah Li Mutakallimī al-Islām Wa Maqāsidihā al-Ilāhiyyah*. Beirut: Namaa Center for Research and Studies, 2018.

Al-Musaddī, 'Abd al-Salām. *Al-Tafkīr al-Lisānī Fī al-Hadārah al-'Arabiyyah*. Tripoli: al-Dār al-'Arabiyyah Li al-Kitāb, 1986.

Qassāb, Walīd. *Al-Turāth al-Naqdī Wa al-Balāghī Li al-Mu'tazilah Hattā Nihāyat al-Qarn al-Sādis al-Hijrī*. Doha: Dār al-Thaqāfah, 1985.

Qaylī, H{asan Sulaymān. "Al-Khiṭāb al-Salafī Wa Sulṭat al-Nas: Bahth Fī al-Ma'rifah al-Salafiyyah Bayn al-Nas Wa al-Ijtihād." *Al-Mustaqbal al-'Arabī*, no. 505 (2021): 133–42.

Al-Ṣāmil, Muhammad ibn 'Alī. *Al-Madkhal Ilā Dirāsat Balāghat Ahl al-Sunnah*. Riyadh: Kunūz Ishbīliyā, 2005.